

## قضية القتل الرحيم

الأستاذ الدكتور حلمى عبد الرزاق الحديدى  
أستاذ متفرغ طب القاهرة  
مصر

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين  
نبينا محمد ﷺ عليه و على آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:  
مقدمة:

شهد النصف الأخير من القرن العشرين طفرة هائلة فى العلوم والتقنية الطبية كان لها أكبر الأثر فى تحسين أداء الأطباء فى مواجهة الكثير من الأمراض التى كانت تؤدى بحياة الملايين من البشر كما زادت من فعالية الرعاية الصحية وتحسين المستوى الصحى ونوعية الحياة الإنسانية. من أمثلة ذلك اكتشاف المضادات الحيوية وأجهزة الرعاية المركزة والفائقة وزرع الأعضاء والعلاج الجينى والجينوم البشرى والأمراض الوراثية واستئصال الأعضاء كل ذلك يبشر بأداء أجود لرعاية الإنسان صحيا.

على الجانب الآخر أثارت هذه الطفرة العلمية والتقنية عددا غير قليل من الإشكاليات والقضايا الأخلاقية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية وذلك فيما يخص استخدامات هذه الطفرة سواء فى تقديمها أو حظر استخدامها وكذلك فيما يخص عدالة توزيعها واقتصاديات العلاج خاصة فى غياب الوفرة المادية ووجود الندرة النوعية وفى ظل الطموحات الإنسانية لدى المرضى والأطباء فى تحسين مستوى الحياة على حد سواء.

وموضوعنا الذى سنتحدث عنه هو مثال من أمثلة التقدم العلمى والتقنى الذى ثارت بسببه العديد من القضايا التى تمس الدين والأخلاق والقانون والاقتصاد فضلا عن حقوق الإنسان والحريات الشخصية كذلك أسس وأهداف الرعاية الصحية والضمير الطبى والإنسانى.

### تعريف القتل الرحيم:

القتل الرحيم ترجمة حرفية للنص الانجليزى وأصلها من اللغة اليونانية وهو يتكون من جزأين الأول: وتعنى الطبيب الحسن الرحيم الميسر، والثانى: هو وتعنى الموت أو القتل. ولقد شاع استعمال كلمة القتل الرحيم فى اللغة العربية وفى تقديرى أن كلمة الميسر اقرب للحقيقة من الرحيم

إذ ليس فى القتل رحمة مهما كانت الأسباب أو النوازع أو الأهداف.  
والتعريف فى العلم الحديث هو تيسير الموت لمريض استعصى علاجه واشتدت آلامه وقاربت  
نهايته بحيث يكون بناء على رغبة ملحة منه إلى طبيبه المعالج أو إقرار مسبق مكتوب يؤكد هذه  
الرغبة.

### أنواع القتل الرحيم:

يمكن أن يتم القتل الرحيم فى صور متعددة:

#### ١- القتل المتعمد المباشر:

وهذا يتم عندما يعطى الطبيب للمريض المعنى جرعة قاتلة من مركب كيميائى قاتل أو مخدر  
قوى بجرعة كبيرة بهدف قتله ولهذا النوع ثلاث صور، هى:

#### ٢- الصورة الإيجابية:

ذلك يكون تحت إلحاح المريض المعنى الراغب فى الموت ويكون المريض فى هذه الحالة  
يقظا كامل الوعى أو يكون قد كتب إقرارا مسبقا يطلب فيه من طبيبه المعالج إنهاء حياته بسبب  
يأسه من الشفاء أو لعدم قدرته على تحمل الآلام الشديدة أو لأنه بات عبئا على أهله أو فقد كل  
معنى لحياته.

#### ب- الصورة السلبية:

وفىها يكون المريض المعنى بالغاً رشيداً ثم فقد وعيه والقرار فى هذه الحالة يصدر من طبيبه  
المعالج بناء على رؤيته وتقديره أن ما سيقوم به هو فى صالح مريضه، وأحيانا يتخذ الطبيب هذا  
القرار بناء على طلب من ولى أمر المريض أو أسرته والذين يرون أن قتل المريض المعنى راحة  
له من المعاناة والآلام المبرحة وأن قرارهم فى صالح مريضهم.

ج- وهذه الصورة الثالثة سلبية أيضاً، وتتم حين يكون المريض طفلاً أو مجنوناً أو غير  
بالغ وهنا يقرر الطبيب برؤيته وتقديره أن قتله ما هو إلا لمصلحته وإنهاء لمعاناته.

#### ٢- الانتحار المساعد:

وفى هذه الحالة يتولى المريض نفسه ممارسة القتل بناء على إرشادات وتوجيهات طرف آخر  
ومستعينا به. وهذا الآخر يقدم للمريض كافة المعلومات اللازمة والوسائل المطلوبة التى تساعد  
المريض على القيام بقتل ذاته.

#### ٣- القتل الرحيم غير المباشر:

وفى هذه الحالة يعطى الطبيب المعالج جرعات متزايدة من المخدرات لتخفيف آلامه، ويظل  
الطبيب يزيد من جرعات المخدر إلى الحد الذى تؤثر هذه الجرعات على المريض وعلى وظائف

قلبه ومخه وعلى عمليات تنفسه مما يؤدى إلى وفاته. وهنا توفرت النية المبيتة لقتل المريض مع العمد.

#### ٤- القتل الرحيم السلبي:

وهذا النوع قد يأخذ واحدة من صورتين:

١- أن يحجم الطبيب عن تقديم العلاج للمريض المعنى بحجة أنه يرى عدم جدوى العلاج وبذلك يتركه ليموت.

ب- يتوقف الطبيب المعالج عن الاستمرار فى علاج المريض المعنى ويوقف كل أنواع الأدوية والمحاليل المغذية والتنفس المساعد وكل وسائل العناية المركزة مما يؤدى إلى وفاة المريض وهنا قد ارتأى الطبيب وقدر أنه لا جدوى من استمرار العلاج ولا أمل فى تحسن المريض.

#### القتل الرحيم عبر التاريخ:

منذ فجر التاريخ والعالم يرفض فكرة الانتحار أو المساعدة عليه أو تشجيعه من قبل الأطباء فيها هو أبو قراط أبو الطب وفى عام ٤٠٠ ق.م. يقول "إننا أبداً لن اصف دواء قاتلاً لمن يطلبه ولن اقترحه على أحد أو أشير به".

ومر ما يقرب من سبعة آلاف سنة هى تاريخ الإنسان والشرائع السماوية والقوانين الوضعية تجرم الانتحار أو تشجيعه. كانت القوانين تعاقب من يساعد الغير على الانتحار ولا استثناء لمن هم على وشك الموت ويعانون من آلام مبرحة. بل على النقيض كان القانون الأمريكى مثلاً ينص على أن حياة الذين فقدوا الأمل فى الشفاء وصاروا عبئاً على المجتمع أو المصابين بإصابات قاتلة أو المجرم المحكوم عليه بالإعدام- كل هؤلاء يحميهم القانون كغيرهم من الأصحاء المستمتعين بالحياة. كما أن السجين الذى يساعد غيره من السجناء على الانتحار يحاكم بجريمة القتل حتى لو كان المنتحر محكوماً عليه بالإعدام.

ولكن القرن العشرين شهد ردّة على حكمة سبعة آلاف سنة مضت من التاريخ كما يتضح فيما يلى:

— فى عام ١٩٢٠م، صدر فى ألمانيا كتاب بعنوان "إباحة إنهاء حياة من لا يستحق الحياة" وهذا الكتاب من تأليف ألفريد هوش أستاذ الطب النفسى بجامعة فرايبورج، والأستاذ كارسل بـندنج من جامعة ليبزج. وهذا الكتاب كان له أثر كبير فيما قام به النازى بعد ذلك.

— فى عام ١٩٣٥م، أنشئت فى إنجلترا جمعية للترويج للقتل الرحيم.

— فى عام ١٩٣٩م، أمر هتلر بممارسة القتل الرحيم على نطاق واسع شمل المرضى الميئوس

من شفائهم والمعاقين ثم امتدت هذه الممارسة إلى الذين يعانون من أمراض مستعصية والأطفال ذوى العاهات أو المصابين بتخلف عقلى ثم امتد ليشمل شرائح أخرى من العمر وغير ما سبق ذكره من أغراض.

— فى عام ١٩٩٥م، صدر فى شمال استراليا تشريع يبيح القتل الرحيم ومساعدة الراغبين فى الانتحار من المرضى الميئوس من شفائهم فى آخر العمر. ولقد استعملوا طريقة مبتكرة هى طريقة اللاب توب.

— فى عام ٢٠٠١م، قننت ممارسة القتل الرحيم فى هولندا بعد أن كانت تمارس بدون تشريع منذ عام ١٩٧٣م.

— رغم أنها تمارس فى سويسرا إلا أنها لم تقنن حتى الآن.

ومما يجدر ذكره أن الهيئات الطبية فى كل دول العالم تقريبا وكذلك معظم الأطباء يعارضون بشدة ممارسة القتل الرحيم. ومع أن معظم القوانين فى دول العالم تجرم من يساعد فى هذه الممارسة إلا أن القتل الرحيم يزداد انتشاراً فى بعض دول أوروبا وشمال استراليا وولايتين فى أمريكا تحت مسميات مختلفة ومخففة مما يجعل القانون يغض الطرف عن هذه الممارسات.  
رأى المؤيدين للقتل الرحيم:

— القتل الرحيم وسيلة لإراحة المريض من آلامه ومعاناته فى آخر حياته.

— القتل الرحيم وسيلة إلى إنهاء حياة غير مرغوب فيها وغير مريحة بل هى عبء يتحمله المريض وكل من حوله.

— القتل الرحيم تعبير عن حق المريض وحرية فى الاختيار وهو حق من حقوق الإنسان. فهم يقولون إن الإنسان يملك حياته ومن حقه إنهاؤها وقتما يشاء وبالطريقة التى يراها تناسبه ويدعون أن حرمان المريض من هذا هو حرمان له من حق من حقوق الإنسان المقررة.

— القتل الرحيم يوفر الكثير من الأموال والأجهزة وهذه يمكن الاستفادة منها فى علاج من هم فى مسيس الحاجة إليها.

رأى المعارضين للقتل الرحيم:

— القتل الرحيم يحط من قيمة الحياة.

— القتل الرحيم ربما يستغل من قبل الدولة وهيئات التأمين كوسيلة لضغط الإنفاق الصحى والتوفير فى موازنات العلاج.

— القتل الرحيم لا يجب أن يوكل إلى الأطباء إذ إن مهمة الطب والأطباء الحقيقية هى رعاية المرضى وعلاجهم وتحسين مستوى خدماتهم الصحية والعلاجية، لذا لا يجوز لهم أن يشاركوا أو

يقوموا بقتل أحد من مرضاهم لأن ذلك قد يخيب آمال الكثير من المرضى ويزرع الخوف فى قلوبهم ويفقدون الثقة فى أطبائهم.

— هناك خوف شديد مما يطلق عليه "المنحدر الزلق". فى البداية استعمل القتل الرحيم للمرضى الميئوس من شفائهم فى نهاية حياتهم ولكن الممارسة أخذت تتمدد وتتسع لتشمل الأطفال المعوقين والبالغين ضعاف العقول والمجانين. ولاحظ العالم أنه اتسع ليشمل المعارضين السياسيين فى ألمانيا النازية.

— أن حياة الإنسان هبة من الله عز وجل يهبها لمن يشاء حين يشاء ويسلبها ممن يشاء وقتما يشاء وأن لكل أجل كتاباً لا يمكن تقديمه أو تأجيله وعلى الإنسان أن يمتثل لإرادة الله العلى العظيم.

— إن القتل الرحيم — حتى وأن تم بناء على طلب المريض أو أسرته وإلحاحهم — فيه حرمان للمجتمع من التواد والتعاطف مع أفراد المرضي.

— الأطباء بشر يجوز عليهم الخطأ سواء فى التشخيص أو الرؤية والتقدير أو العلاج.

— كثير من التعريفات مثل الألم المبرح، نهاية العمر، اليأس. التنبؤ بنهاية الحياة، كلها أمور يستحيل قياسها أو تحديدها بدقة. كذلك تعبير "حياة لا معنى لها" والتي تتردد كثيرا كمبرر للقتل الرحيم، لا يمكن وضع معيار دقيق لقياسها وتختلف نظرتنا جميعا لها فكيف نتخذ مبررا للقتل الرحيم.

— من الشروط التى يجب توافرها لممارسة القتل الرحيم أن يتم بناء على إلحاح المريض أو أسرته. فهل المريض الواقع تحت ضغوط مرضية ونفسية واقتصادية واجتماعية والذي قد يكون فى حالة اكتئاب شديد يمكنه أن يعطى قرارا سليما. أما أسرته التى ربما تكون واقعة تحت نفس الضغوط أو ربما— وهى الوارثة للمريض — يكون هناك شبهة مصلحة لهم إذا انتهت حياة مريضهم فكيف نرضى بقرارهم؟

الإسلام والقتل الرحيم:

يقول الله عز وجل فى كتابه الكريم:

— ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ

عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣ الجزء الخامس)

— ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء: ٣٣، جزء ١٥).

— ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: ١٥١، جزء ٨)

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾  
(الإسراء: ٣١، جزء ١٥).

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي  
الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (الأنعام: ٣٢،  
جزء ٥).

ويقول رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه:

— عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال [لا يتمن أحدكم الموت إما محسناً، فلعله يزداد،  
وإما مسيئاً فلعله يستعتب] <sup>(١)</sup>.

وفى رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: [لا يتمن أحدكم الموت، ولا يدع  
به من قبل أن يأتيه؛ إنه إذا مات انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً] <sup>(٢)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [لا يتمنين أحدكم أموت لضرر أصابه، فإن كان لابد  
فاعلا، فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي].

— [تداؤوا عباد الله فإن الذي خلق الداء خلق له الدواء].

ومن ذلك يتضح جلياً أن القتل الرحيم محرم في الإسلام إذ أنه جريمة كاملة الأركان والإسلام  
دين الرحمة والإنسانية يجرم المساس بالنفس البشرية إلا بالحق. كما أن تمنى الموت خطيئة لا  
يجوز الوقوع فيها وأن العلاج والتداوى أمر من رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام  
تلتزم طاعته.

غير أن بعض الشيوخ المعاصرين يرون أن التداوى ليس مفروضاً وأنه في حالة الموت  
الإكلينيكي يسمح بسحب الأجهزة والأنابيب التي تحمل سائل دعم الحياة حيث لا فائدة منها لهذا  
المريض الميت إكلينيكيًا. كما أن هذه الأجهزة قد تكون مطلوبة لغيره من المرضى الذين قد تكون  
حاجتهم إليها أشد واستفادتهم منها أكثر. ثم إن ذلك سيقفل النفقات ويوفر في مصروفات العلاج.  
(الشيخ يوسف القرضاوى — المجلس الأوربي للبحوث والفتوى).

والرأى عندى أن ممارسة القتل الرحيم أو الانتحار في أية صورة وبأية وسيلة محرمة في  
الإسلام وفي كل الأديان السماوية الأخرى كما أنها مرفوضة أخلاقياً وإنسانياً كما أنه محرم أن  
يشارك فيها الأطباء أو غيرهم بالفعل أو القول. كما لا يجوز الاعتداد بما يثار من أن القتل الرحيم  
هو رغبة المريض وحقه لأن المريض أما أن يكون في حالة لا وعى بسبب مرضه أو المسكنات

التي تؤثر عليه أو أن يكون فى حالة نفسية أو صحية لا يمكن معها اتخاذ قرار عاقل سليم. كما لا انصح بالاعتماد على رأى الأسرة إذ أن هنالك شبهة المصلحة فى أى قرار يتخذونه. فى الختام أقول أنه من المحرم قتل النفس إلا — بالحق — بأية وسيلة سلبا أو ايجابيا، مباشرا أو غير مباشر، ذاتيا أو مساعدة وتحريضا، ولأى سبب من الأسباب، وتحت أى من المبررات، أو بأى حجة أو بناء على أى طلب. وبقول أوضح فإن القتل الرحيم كما أوضحنا حرام حرام حرام. والله الموفق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الهوامش:

(١) متفق عليه وهذا لفظ البخارى.

(٢) متفق عليه.